مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 07/ العدد: 04 سبتمبر (2021) - ص 346-357

البرنامج السردي والنموذج العاملي في رواية "الطوفان" لـعبد الملك مرتاض

The narrative program and the actantial model in the novel "The Flood" by Abdul Malik Murtad

غيس خيرة[1]
kghris@yahoo.com[1]
هواري بلقاسم[2]
houaribelkavem00@yahoo.fr[2]
جامعة وهران -1- أحمد بن بلّة /الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/06/09 تاريخ القبول: 2021/09/19 تاريخ النشر: 2021/09/25

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة "النموذج العاملي"، وهو شبكة من العلاقات الثنائيّة القائمة بين ستة عوامل (الذات، الموضوع، المرسل، المرسل إليه، المساعد، المعارض)، وهي عوامل جاء بها غريماس استدراكا لموروث بروب الّذي تناول الشخصيّات ووظائفها، ورواية "الطوفان" كانت نموذجا لتتبع مسار شبكة هذه العلاقات إيمانا منا بأن هذا العمل السردي زاخر بالبرامج السرديّة المتداخلة ببعضها البعض، وسار العمل وفق ما جاءت به السيميائيّات السرديّة من أدوات إجرائيّة بغية تبسيط تطبيقها، وحتى يسهل ذلك على كلّ من استعصى عليه الولوج في هذا المجال، خاصّة في ظلّ تعدّد الترجمات لنفس المصطلح، أو مايسمى بإشكاليّة المصطلح.

الكلمات المفتاحيّة: النموذج العاملي- البرنامج السردي- الخطاب الروائي- الذات- الموضوع.

ABSTRACT:

This work is about « The actantial model », which is a scheme representing an action as a relationships between six elements (subject, object, sender, receiver, helper and opponent), as proposed byA.J.Greimas, inspired by Propp work on persons and their roles. We have taken the novel “The flood” which we believe is full of interlinked narrative statements, and we worked according to narration semantics tools with the objective of simplifying their application. This should help all those who are interested in this field, especially with the various translations of the same terms.

Key words : Actantial model – narrative program – narrative speech – subject – object.

[1] المؤلف المرسل :غيس خيرة.

1-المقدّمة:

الرواية عالم غنيّ، ثريّ معرفيّا وجماليّا، فإذا كانت على مستوى المضمون تحمل أفكارا وثقافة وتاريخا، وسياسة... فإنّ المبدع يصوغ كلّ ذلك صياغة تعتمد على أدوات التعبير أي الجماليّة.

تطرّقنا في هذا البحث إلى نموذج من هذا الجنس الأدبي المتمثّل في رواية (الطوفان) بحيث اتبعنا المنهج السيميائي، وبالتحديد السميائيات السرديّة، وما تقدّمه من الآليّات والأدوات الإجرائيّة التي تدرس النص الأدبي من خلال ثلاث بُنى أساسيّة (بنية التجلّي، البنية السطحيّة، البنية العميقة)، لكن نظرا للمقام الذي لا يمكّن من استيفاء الكلّ، تطلّب البحث الاقتصار على القسم الأوّل من البنية السطحيّة التي تنقسم إلى قسمين: 1- المكوّن السردي(البرنامج السردي+ والنموذج العاملي).2- المكوّن الخطابي(بنية الممثلين والعوامل+ وبنية التفضية والتزمين).

رواية "الطوفان"هي جزء من "ثلاثيّة الجزائر (الملحمة، الطوفان، الخلاص)" لصاحبها "عبد الملك مرتاض"، جعلناها أنموذجا للتطبيق بشكل مبسّط حيث يبدو الأمر معقّدًا لدى الباحثين المبتدئين، ولعلّ سبب هذا التعقيد اشكاليّة المصطلح والترجمة، فافترضنا أن يكون في طريقة التطبيق تبسيطا لهذا التعقيد فكما يقال، بالمثال يفهم المقال، وهذا هو الهدف من هذه الدراسة.

بناء على ما سبق جاء عنوان الدراسة موسوما بـ"البرنامج السردي والنموذج العاملي في رواية الطوفان لعبد الملك مرتاض"، وهما عنصران متكاملان لا تستغني دراسة أحدهما عن دراسة الآخر، فلدراسة النموذج العاملي لابدّ من التطرّق إلى البرنامج السردي، حيث أنّ تطبيقه على المتن السردي يتطلّب تمثيله وفق خطاطات متعدّدة بتعدّد البرامج السرديّة.

2- البرنامج السردي Le programme narratif في رواية الطوفان:

البرنامج السردي هو سلسلة الحالات والتحولات التي يتضمنها المتن الحكائي، والقائمة على مستوى علاقة الذات (Sujet) بموضوع القيمة (Objet de valeur) . ويمكن القول -حسب جيرالد برنس- أنّه " "تركيب" syntagm على مستوى "البنية السطحية للسرد" surface structure يعرض تغييرا في الحالة، يقوم به "ممثل" actor يمارس تأثيرا على ممثل آخر (أو نفس الممثل). ويمكن للبرامج السردية أن تكون بسيطة (عندما لا تستوجب برنامجا سرديّا آخرا لإنجازها)، أو معقدة (عندما تستوجب برنامجا آخرا لإنجازها)"[1]. وفي مباحث نادية بوشفرة ورد مصطلح "تحويل" كبديل عن "تغيير" في سياق تقديم البرنامج السردي على أنه يتعلّق "بعملية التحويل التي تتسم باتصال الفاعل بموضوع القيمة المرغوب في امتلاكه أو بالانفصال عنه بفقدانه واستلابه منه"[2].

من التعريفين تتضح علاقة الرغبة التي تجمع الذات/الفاعل بالموضوع، وتأثيرها على البرنامج السردي، بحيث يكون هذا الأخير ناجحا إذا كانت الذات في حالة اتصال مع موضوع القيمة، ويكون فاشلا إن تمّ بحالة انفصال بينهما.

أحيانا تتعدد البرامج السرديّة الثانوية، لكنها تكون محكومة ببرنامج أصلي، أساسي، وذلك عندما يتطلّب الموضوع الواحد سبلا ووسائل متنوعة[3]، مثل ذلك "حال القرد الذي يسعى إلى الحصول على الموز فيجد نفسه محتاجا إلى البحث عن عصا. ويطلق على البرنامج الأول (السعي للحصول على الموز) اسم البرنامج السردي الأساسي (PN de base)، ويطلق على الآخر (البحث عن العصا) اسم البرنامج السردي العملي (PN d'usage)، قد يمتد البرنامج السردي فيشمل القصة بكاملها، إذا كانت مكونة من بحث (quête) واحد"[4].

والبرنامج السردي بصفة عامة، الأساسي منه والعملي لا يتمّ حسب ما ورد في الدراسات السيميائية إلا عبر أربع مراحل:

- استخدام(Manipulation).
- كـفـايـة(compétence).
- أداء (performance).
- جـــــزاء(sanction).

تمثل هذه المراحل خط البرنامج السردي الذي يعتبر كلّ لا يتجزّأ، أما نجاحه فمرهون بنجاح العاملِ الذاتِ في اكتساب الكفاية المطلوبة، فإذا أظهرت القصّة أن شخصية ما قد انتهت إلى الفشل والخيبة فمعنى ذلك في أغلب الأحيان أنها لم تكتسب الكفاية اللازمة لمواجهة ما اعترضها من صعاب"[5].

وفيما يخص المتن المدروس، فهو رواية تتحدث عن مسار مقاومة الاحتلال الفرنسي أي أنّ البرنامج الأساسي فيها مرسوم من طرف المقاومين (الذات) بغية تحقيق سيادة الوطن، الحرية والكرامة...(موضوع القيمة) تتخلله –أي البرنامج- سلسلة من الحالات والتحولات المتوزعة على المقاطع السردية في الرواية.

تتضمن الطوفان قصصًا متداخلة تبتدئ بقصة افتتاحية، تليها قصة مقسمة إلى خمس ليال، تمثّل كل ليلة منها مقطع سردي، إذا فعدد المقاطع خمسة، ويمثّل الإطاران الآتيان عرضا عامّا لكلّ تلك المقاطع:

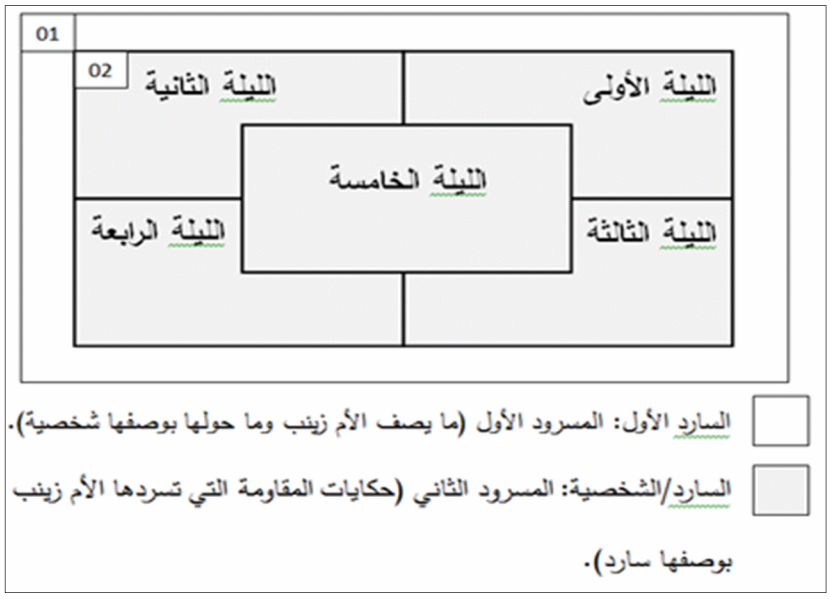

الإطار الأول يمثل قصة افتتاحية بالنسبة للعمل كاملا، تُعامل الأم زينب بوصفها شخصية أساسية في المتن، فيصفها السارد وما حولها... أما الإطار الثاني فهو قصة افتتاحية لبقيّة القصص الجزئيّة المتمثلة

في مقاطع تشكّلت في الليالي التالية:

*** الليلة الأولى: (ص05-43)**

الليلة الأولى/ المقطع الأوّل، يحمل هذا المقطع في طيّاته قصّتين، القصة الأولى تتمثل في القصة الافتتاحية، قصة فتيان أم العساكر الذين اعتادوا السمر تحت شجرة الدردارة، واقتحام الأم زينب مجلس سمرهم ليتحول من مجرد اجتماع يتقاسم فيه الفتية الحوارات بينهم ومختلف القضايا اليومية إلى تحلّق حول حاكية دارية بتاريخ هذه الأرض الطاهرة... أمّا القصة الموالية فتتمثل في تفاصيل دخول الكائن الغريب العنيد المحروسة المحميّة البيضاء...

وهذا ما يشكل جملة من الحالات والتحولات أهمّها،

حالات الاتصال:

الـفـتـيـان ∧ السمر للتسلية(قبل حضور الأم زينب)

الـفـتـيـان ∧ السمر لمعرفة التاريخ (بعد حضور الأم زينب)

الأم زينب ∧مجلس الفتية

حالات الانفصال:

الأم زينب ∨مجلس الفتية (قبل حضور المجلس)

الأم زينب ∨مجلس الفتية (بعد حضور المجلس)

الـفـتـيـان ∨ السمر للتسلية (بعد حضور الأم زينب)

التحولات:

[(الأم زينب ∨مجلس الفتية) ⟵ (الأم زينب ∧ مجلس الفتية)]

أو يمكن اختصارها فتصبح الصياغة كالآتي:

(مجلس الفتية ∨ الأم زينب ∧ مجلس الفتية)

كان لفعل الحضور الذي بدر عن الأم زينب الدور الفعال في تحوّل مسار السرد... وبما أن الحالة التي آل إليها هذا التحول هي حالة اتصال، إذا فهو تحوّل اتصالي. ما استقرت الأم زينب (الذات) على حالة واحدة، بل أنها كانت متذبذبة بين الاتصال بمجلس السمر (الموضوع) ليلا، والانفصال عنه نهارا... وهذا طوال المتن السردي المقدر بخمس ليالٍ... ليستقر أخيرا على تحول انفصالي بمغادرتها المجلس نهائيا بدون رجعة..

[(الـفـتـيـان ∧ السمر للتسلية) ⟵ (الـفـتـيـان ∨ السمر للتسلية)]

انتقلت حالة الفتيان من اتصال بالعادة القديمة المتمثلة في السمر من أجل التسلية، والتحاور في مواضيع مختلفة إلى انفصال معها لتستبدل بالسمر من أجل استماع حكايات الأم زينب

الكاشفة لخبايا التاريخ، وأخبار الأولين... إذا فهو تحول انفصالي، استمر طول الليالي الخمس، لتعود الأمور إلى مجاريها بعد انتهاء الليلة الخامسة ومغادرة الأم زينب إلى الأبد.

وفي الإطار الثاني، قصة تروي تفاصيل دخول الكائن الغريب المحروسة المحمية، الذي يمكن اختصاره في التحول الاتصالي التالي:

[(الكائن الغريب ∨ المحروسة) ⇐ (الكائن الغريب ∧ المحروسة)]

وهذا ما يمثل برنامجا سرديا ناجحا، تمكنت فيه الذات من بلوغ موضوع القيمة المرغوب في امتلاكه، احتلال المحروسة المحمية الذي جعلت له برامج سردية عملية متعددة، كالمؤامرات، التجسسات... وفي ذلك انتزاع لحقوق سكان المحروسة المحمية البيضاء، وهذا الانتزاع والظلم هو ما كرّس الكاتبُ المتنَ من أجل اثباته.

يمكن تمثيل هذا البرنامج وفق خطاطة تبين العوامل المساعدة لهذه الذات من أجل بلوغها الموضوع الذي تسعى إليه، وكذلك العوامل المعارضة.... إلا أنّ البحث يستدعي تأجيل عرضها إلى العنصر المناسب.

*** الصباح الموالي لليلة الأولى: (ص44-48)**

في هذا المقطع تعليقات أهل أم العساكر على كينونة الأم زينب وهويتها، وسبب العويل الذي عمّ الأرجاء في الليلة السابقة من أجل رثاء أجدادنا الأكرمين الذين عانوا من ويلات الاحتلال ممّا أنتج التحول الآتي:

[(النساء ∨ الواجب الوطني) ⇐ (النساء ∧ الواجب الوطني)]

وهو تحوّل اتصالي، برزت آثاره الإيجابية من خلال حوار النسوة، ودعوة بعضهم البعض إلى العمل على توعية أبنائهم، وتذكيرهم بظلم الكائن الغريب العنيد لآبائهم الأكرمين، وفي ذلك دليل على قدرة الذات على بلوغ مرادها، حيث نجحت الأم زينب تحويل جهل السكان وغفلتهم عن واجبهم، إلى علم وفطنة، ويعود الفضل في ذلك إلى برنامج عملي بسيط متمثل في رغبة النساء (ذات البرنامج العملي) في معرفة مصدر البكاء والعويل وسببه (موضوع البرنامج العملي).

*** الليلة الثانية: (ص48-101)**

الليلة الثانية/ المقطع الثاني، مقطع يتضمن أربع قصص مرتبة في المتن السردي بالترتيب التالي (3، 4، 5، 6)، تربط بينها القصة الأولى التي تمثل الإطار الجامع لكلّ القصص.

القصة الثالثة تسرد لحكاية لالا فاطمة نسومر، حيث سارت الأحداث وفق برنامج سردي فاشل انتهى بضياع الموضوع المرغوب في امتلاكه من طرف الذات (لالا فاطمة)، يسير هذا البرنامج وفق حالات وتحولات أهمّها:

$$\begin{cases} \text{لالا فاطمة نسومر} \wedge \text{المقاومة} \\ \text{لالا فاطمة نسومر} \vee \text{المقاومة} \end{cases} \quad [(\text{لالا فاطمة نسومر} \wedge \text{المقاومة}) \Leftarrow (\text{لالا فاطمة سومر} \vee \text{المقاومة})]$$

ولعلّ السبب في ذلك عائد لنقص في كفاءة الذات، حيث أنّ العوامل المعارضة كانت تفوق المساعدة... ومن العوامل المعارضة ما ورد في القصص الموالية...

القصة الرابعة، قصة وردت في سياق استرجاعي (Flash-Back)، حيث تسرد الأم زينب حكاية أخبرت الفتية المتحلّقين حولها بأنّه سبق لها سردها في "الملحمة"، تعرض هذه الحكاية لدور موريس الجاسوس في تمكين العدو من الاستيلاء على الوطن... (الجاسوس ∧ سقوط البلاد)

وفي القصة الخامسة يعرض السارد/ الشخصية لتفاصيل حادثة المروحة وخباياها مع التوثيق التاريخي من المصادر العربية وكذلك الفرنسية مما ساهم أيضا في سقوط البلاد في يد الاحتلال الذي لجأ إلى الحيلة والمكر فبلغ مبتغاه المتمثل في احتلال المحروسة المحمية... (المحتل ∧ الحيلة والغدر)...

أما السادسة من القصص، فتسرد فيها الأم زينب ما قام به اليهود من أفعال شنيعة، من تحايل على أبناء المحروسة ونقل أخبارهم إلى العدو...

(اليهود ∧ احتلال المحروسة)...

*** الليلة الثالثة: (ص102-219)**

الليلة الثالثة/ المقطع الثالث، مقطع يتضمن خمس قصص مرتبة في المتن السردي بالترتيب التالي (7، 8، 9، 10، 11)، تربط بينها القصة الأولى التي تمثل الإطار الجامع لكلّ القصص.

القصة السابعة (نهب المرتزقة للخزائن وتضامن اليهود معهم) والثامنة (سقوط كبير الشيوخ السيء الذي وقع في مؤامرة أب راحيل ونتائجها)، وكذلك التاسعة (همجية المرتزقة المشابهة لهمجية يأجوج ومأجوج)، قصص تتضمن برامجًا سردية عملية تصبّ كلّها في نفس البرنامج السردي الأساسي، حيث تمثل كل منها مساعدا في سقوط حقّ السيادة عن أبناء المحروسة المحمية البيضاء، هذا إن كان الاحتلال هو الذات، أما إذا كانت المقاومة هي الذات، فإن هذه البرامج السردية العملية تمثل المعارض.

أما القصة العاشرة فتعرض لبرنامج سردي فاشل لذاتٍ مقاوِمة (الحاج علي ابن السعدي)، وهو مماثل – نوعا ما- لما ورد عن قصة لالا فاطمة نسومر.

والحادية عشر تسرد فيها الأم زينب تفاصيل مقاومة الأمير عبد القادر، الذي أبلى فيها بلاء حسنا، فتعدّدت انتصاراته على جيش المحتلّ، ذكرت منها في هذا المقطع معركتي خنق النطاح الأولى والثانية، ومعركة برج رأس العين.

إذا البرنامج السردي في القصة الحادية عشر برنامج ناجح بلغت فيه الذات (الأمير عبد القادر) الموضوع الذي تسعى إلى تحقيقه... وهذا يعني أنّ المقطع انتهى والأمير في حالة اتصال مع المقاومة (الأمير ∧ المقاومة)..

*** الليلة الرابعة: (ص219-311)**

الليلة الرابعة/ المقطع الرابع، مقطع يتضمّن القصة الجامعة لكلّ القصص، وهي في هذا السياق تؤدي دور التمهيد لمواصلة قصة الأمير عبد القادر والتعليق عليها بعد انهائها، كان البرنامج السردي لهذه القصّة ناجحا في المقطع السابق، لكنّه فشل حيث استلِب موضوع القيمة من الذات التي عملت جاهدة من أجل بلوغه، (الأمير ∨ المقاومة)، فنتج عن ذلك تحوّل انفصالي...

لعلّ الأسباب المؤدية لفشل هذا البرنامج هي نفسها التي تسبّبت في فشل بقية البرامج السابقة.. حيث أن مقاومة منطقة بمفردها يؤدي بالضرورة إلى ضعفها ففشلها.

*** الليلة الخامسة: (ص311-367)**

الليلة الخامسة/ المقطع الخامس، مقطع يتضمّن ثلاث قصص مرتّبة في المتن السردي بالترتيب التالي (12، 13، 14) تربط بينها القصة الأولى الجامعة لكلّ القصص.

القصة الثانية عشر تسرد لحكاية الأم حليمة المسكينة التي عاشت حياة كريمة في مزرعة والدها قبل الاحتلال، وفقدت كل حقوقها بعده، حتى اضطرت إلى العمل خادمة في مزرعتهم قديما تحت وطأة الظلم والاضطهاد، من أجل تأمين لقمة عيشها وعائلتها، لكن المرض تمكن من الكلّ نتيجة الحياة البائسة، جوع، برد، وغياب أدنى وسائل المعالجة. فحصد أعمارهم الواحد تلو الآخر.

يمكن التمثيل لهذا التحول الجذري في حياة هذه الذات كالآتي:

[(الأم حليمة المسكينة ∧ الحياة الكريمة)←(الأم حليمة المسكينة ∨ الحياة الكريمة)]

[(الأم حليمة المسكينة ∧ الحياة)←(الأم حليمة المسكينة ∨ الحياة)]

وكلّها تحوّلات انفصاليّة تدلّ على ضياع الموضوع المنشود من الذات.

والقصة الثالثة عشر تروي أحداث مقاومة الحاج مقراني، والتي لاقت ما لاقته من قبلها المقاومات.

أما القصة الرابعة عشر، فتعرض ثلّة من الأحداث التي تصبّ في التأكيد على وحشية المحتلّ، أهمّها قصّة الصبيّ أحمد الذي استشهد في سبيل رفع راية الوطن، ومذبحة اليهود التي وردت في سياق المقارنة بمجزرة 8 ماي.

ويُختم المقطع الخامس، وتُختم بذلك القصة الإطار الجامعة لكلّ القصص، حيث تقدّم الأم زينب لأمّ الثورات العظمى، والمقصود بها ثورة نوفمبر التي تجاوزت المعيقات المثبطة للمقاومات المذكورة، حيث استوفت الحلقة التي كلّف ضياعها الهزيمة وفشل البرنامج الذي وضعه المقاومون (الذات)، تمثلت هذه الحلقة في عنصر الإتحاد بين كلّ أقطار الوطن.

بعد حوصلة قصص المقاومات المذكورة، والتقديم لما سيرد في الجزء الثالث من الثلاثية عن طريق تقنية الاستباق، تغادر الأم زينب/ السارد مجلس السمر بدون عودة، فتستقر أخيرا على حالة الانفصال، وبالتالي على التحوّل الانفصالي.

وبعد بلوغ آخر المقاطع اتضح وجود برنامجين متضادين أساسيين في متن المحكي الذي تسرده الشخصية/ السارد: برنامج المقاومة وبرنامج الاحتلال وما البرامج السالف ذكرها إلا برامج عملية جزئية فيها.

هذا فيما يخص المسرود الثاني أمّا إذا اتسع مجال التحليل إلى المسرود الأوّل سيكون برنامجا واحدا هو برنامج الأم زينب (الذات) التي تسعى إلى تذكير الفتية الشباب بتاريخ وطنهم المليء بالبطولات التي عُرف بها أجدادهم، والظلم الذي سلّطه عليهم المحتلّ الفرنسي، الذي هُم له مادحون وبه مقتدون. لعلّ الذكرى تنفعهم فتحيَى في نفوسهم روح الغيرة على الوطن بعد معرفتهم بالدماء التي أريقت ثمنا لحريّته.. إذًا يمكن للتوعية أن تكون موضوع القيمة المنشود، وبذلك تكون الذات بلغت هدفها، حيث تمكنت الأم زينب من شدّ انتباه الفتية المتحلّقين فكانوا يتسارعون على تبوّء مكانهم من مجلس الحكي، وطلبهم الدائم للاستزادة بعد صياح الديكة وتوقف الحكي.

الأم زينب ∧ توعية الشباب

إذا يمكن الحكم على هذا البرنامج السردي أنّه ناجح بحيث أثبتت فيه الذات كفاءتها وقدرتها على بلوغ هدفها المتمثّل في جذب انتباه المتلقي* ، وطرح برامج سردية تفي بغرض الإقناع.

3- النموذج العاملي Le modèle actantiel:

النموذج العاملي هو شبكة من العلاقات الثنائية القائمة بين ستة عوامل: **"الذات/الفاعل"** **(Sujet)** التي تقوم بالبحث عن "الوضوع": و**"موضوع القيمة"** **(Objet de valeur)**الذي تقوم "الذات" بالبحث عنه، و**"المرسل"** **(Destinateur)**الذي يدفع "الذات" للاتصال ب"الموضوع"، و**"المرسل إليه"** **(Destinataire)**وهو متلقي الموضوع المتحصّل عليه بواسطة "الذات"، و**"المعارض"** **(Opposant)**الذي يحاول عرقلة الذات والحيلولة بينها وبين الاتصال بال"الموضوع": **"المساعد"** **(Adjuvant)**الذي يحاول تمكين الذات من الاتصال بالموضوع، وهي عوامل جاء بها غريماس استدراكا لموروث بروب الذي تناول الشخصيات ووظائفها، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنّ الذات تكون شخصية بالضرورة، وإنما قد تكون مناخا أو شيئا ما...

ولعلّ من الإمكان التمثيل لهذه العلاقات بالخطاطة التالية[7]:

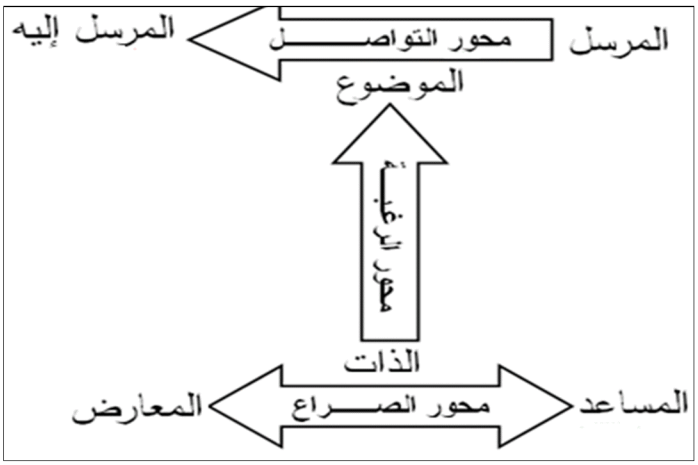

يبيّن المخطّط السابق تشكّل ثلاث ثنائيات من العوامل وهي: المرسل /المرسل إليه، الذات/ الموضوع، المساعد/ المعارض، منتظمة فيما بينها ومتفاعلة وفق علاقات ينتجها المسار السردي، حيث تبدأ بتحفيز المرسل للذات على امتلاك موضوع ما، فتنتج لديها الرغبة في ذلك، وتتحرّك حسب قدرتها بغية بلوغ الموضوع تحت ظلّ مساندة المساعد، وعرقلة المعارض، لتتحقق في الأخير إما حالة الاتصال إن هي تمكنت منه، أو حالة الانفصال إن كان العكس، وبهذا يتولّد البرنامج السردي.

وحسب ثلة من النقاد مثّل غريماس النموذج العاملي بالخطاطة التالية[8]:

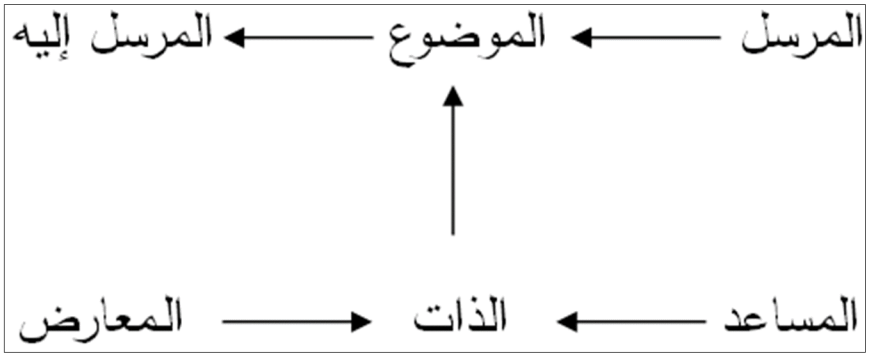

وهي خطاطة توضّح بشكل أكثر الرابط بين علاقات العوامل، حيث يظهر أن الموضوع هو الرسالة التي يرسلها المرسل إلى المرسل إليه، ويتضح دافع الصراع بين المساعد والمعارض.

المتن المدروس بوصفه متنا سرديّا، يمكن تمثيله وفق خطاطات مماثلة متعددة بتعدد البرامج السردية، وما التالي إلا عيّنة منها:

- إذا تمّ اتباع التقطيع السالف عرضه في البرنامج السردي، فإنه في المسرود الأول الذات=الأمّ زينب، إذا فتكون الخطاطة كالآتي:

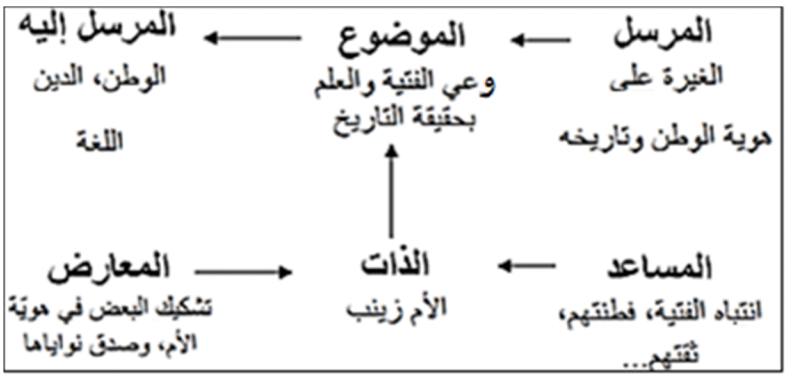

تدفع الغيرة على هوية الوطن وتاريخه (المرسل) الأم زينب (الذات) إلى توعية الفتية والشباب، بوصفها الفئة التي تمثل أعمدة المجتمع الأساسية بحقيقة التاريخ التي تثبت قيمة هذا التراب المطموسة (الموضوع)، فيستفيد الوطن من اهتمام أبنائه، ويستفيد الدين من انتشار مبادئه، واللغة من تعلّم استعمالها واكتشاف ألفاظها الدفينة في طيات المجهول، حيث كانت الأم زينب تحدّثهم بلغة

فصيحة قحّة أثارت انتباه الفتية المتحلّقين حولها في عدّة مواطن من المقاطع السرديّة، وكون الثلاثي (الوطن، الدين، اللّغة) هو المستفيد من تحقيق الذات لموضوع القيمة، جعله (الثلاثي) هو المرسل إليه.

وانتهى هذا البرنامج السردي بنجاح حققته الذات ببلوغ الموضوع المرغوب فيه.

- أما المسرود الثاني (الذات=المقاومون) يمكن تمثيله في خطاطة عامة كالآتي:

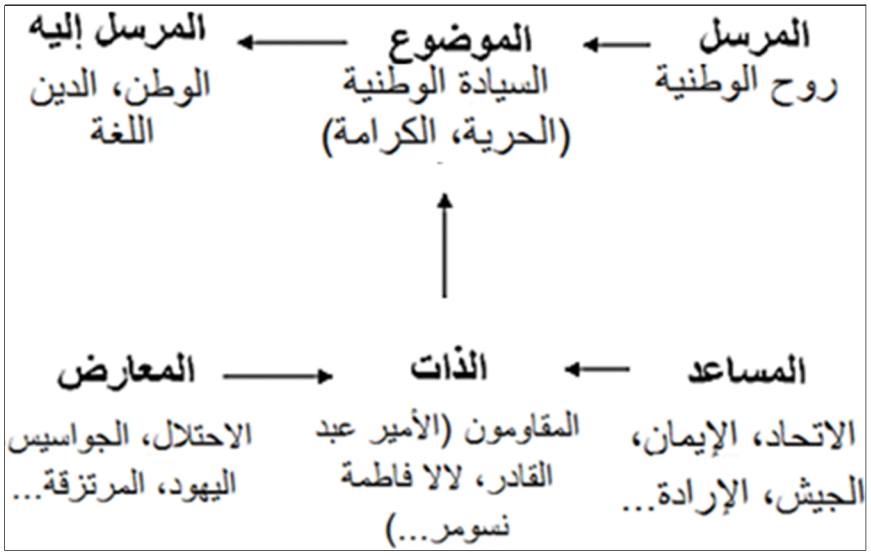

وتمثّل هذه الخطاطة دور الروح الوطنية التي أدّت إلى ظهور مقاومين للإحتلال الذي عاث في الأرض فسادا من أجل تحقيق السيادة الوطنية، فتتحقق بذلك الحريّة والكرامة، وتسود أسس الهوية الوطنية كاللغة والدين، إلا أن هذا البرنامج كان فاشلا نظرا لعدم كفاية الذات وقوّة المعارض.

وهذه الخطاطة عامة شاملة للمسرود الثاني، الذي يحمل في متنه مجموعة من البرامج السردية الجزئية والتي يمكن العرض لها –على سبيل التمثيل لا الحصر- من خلال الخطاطات التالية:

- **في القصة الثانية من الليلة الأولى (ل1/2):**

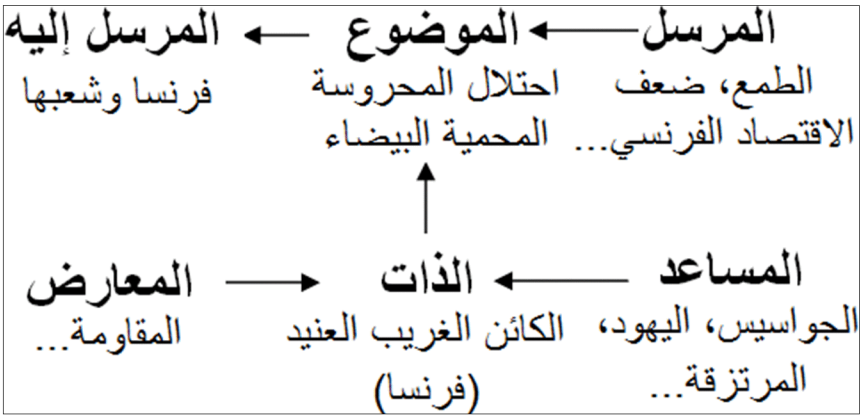

في هذا المقطع تروي الأم زينب (الشخصية/ السارد) تفاصيل دخول الكائن الغريب العنيد المحروسة المحميّة البيضاء، وكون هذا الكائن هو العامل الأساسي في تحريك الأحداث، أُنزل منزلة

الذات، وكان الوطن الجزائري هو الموضوع المرغوب في بلوغه وتتحرك الأحداث في صالح الذات ليكون بذلك برنامجا ناجحا تبلغ فيه الذات مرادها.

لعلّ بالإمكان اعتبار هذا البرنامج السردي مضادا لبرنامج المقاومة، حيث أن أحد الذاتين عدوّ للآخر، ومساعد هذا هو معارض ذاك، وهذا ما يتجلّى بوضوح في القصص الموالية.

- **القصة الثالثة من الليلة الثانية (ل3/2):**

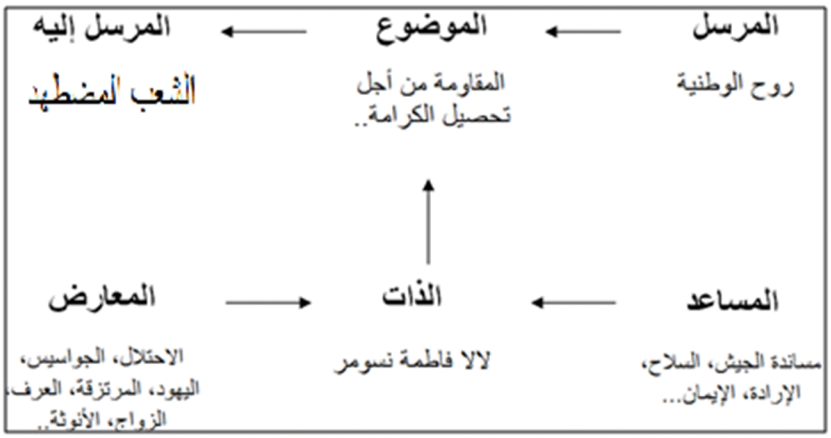

تعدّ هذه الخطاطة جزء من الخطاطة العامة الممثلة لبرنامج المقاومة الذي سلف الحديث عنه، وكلّ العوامل متشابهة بين هذه الخطاطات إلى حدّ بعيد، إلا الذوات/الفواعل الذين اشتركوا في قضية الانتماء إلى هذه الأرض الطاهرة.

- **القصة الثانية عشر من الليلة الخامسة (ل12/5):**

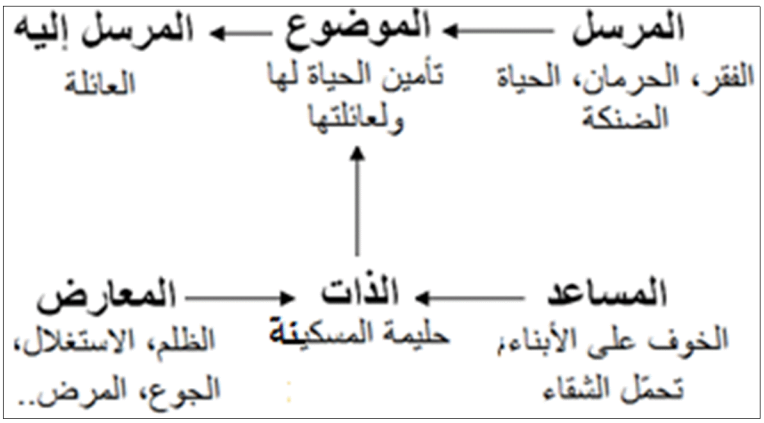

تمثّل الخطاطة الأخيرة شكْل آخر من المقاومة في فترة الاحتلال، وما جاءت إلا تأكيدا على رسالة البرنامج النواة، المتمثل في وحشية المحتلّ الذي شكّك السارد في انتمائه إلى جنس البشر، إلا أنّ الصراع في هذه المقاومة ليس مع جنود المحتلّ، وإنّما هو صراع مع البؤس من أجل الاستمرار في الحياة، لكن قوّة المعارض حالت دون أن تبلغ الذات هدفها، فانتهى البرنامج السردي الفاشل لهذه الذات بحالة انفصال بينها وبين موضوعها.

وتظلّ الخطاطات المعروضة محض أمثلة من نصّ زاخر بالبرامج السرديّة الأساسية بالنسبة لكل مقطع، والتي تعد بالنسبة للمُجمَل برامجا عمليّة، وهذا عائد لطريقة بناء النص المسرود، حيث ينبني على قصص متداخلة فيما بينها من أجل الافضاء إلى كلّ متكامل يحمل بين سطوره مقصديّة شاملة.

الخاتمة:

الرواية – كما رأينا في طيّات هذا البحث - بحر تصبّ فيه سواقي، أودية، وأنهار الأفكار، ممّا يجعلها تتلاءم مع مختلف المستويات الفكريّة: بدءًا بقارئ يراها مجرّد وسيلة للتسلية، إلى آخر يستشفّ من خلال قراءتها (الرواية) إيديولوجيّة كاتبها، وطريقة طرحه للقضايا المُعاشَة ومعالجته الأوبئة الاجتماعية، فإمّا يؤيّد المرسَل إليه رسالة المرسِل، أو يعارضها.

ويظلّ الخطاب الروائي مادّة خاما تعمل عليها مختلف المناهج النقديّة، وما عرضنا في هذا البحث إلا نموذجا مبسّطا لتطبيق منهج السيميائيات السرديّة، مفاده تقديم صورة مبسطة لذلك، في ظلّ استعصاء مفاهيم هذا المنهج وغيره بسبب اشكاليّة المصطلح الناتجة عن الترجمة وهذا ما نوّهنا له في طيّات هذا البحث.

الهوامش:

1. جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2003، ص129. وقد وردت مصطلحاته السرديّة باللغة الإنجليزيّة لا الفرنسيّة..
2. نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، دط، دت.ص54
3. ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائيات السردية، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، ط1، ص69.
4. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، عربي، انكليزي، فرنسي، دار النهار للنشر، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2002، ط1،ص33.
5. ينظر: المرجع السابق، ص34.

*. يقصد به المتلقي السردي المتمثل في الفتية إذا عاملنا المرسل على أنه الأم زينب، والمتلقي/القارئ في حالة ما إذا كان المرسل المقصود هو الكاتب.

7. ينظر: قاموس جيرالد برنس، ص09-10، مباحث في السيميائية السردية لنادية بوشفرة، ص 48...
8. تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، عبد القادر شرشار، منشورات دار القدس العربي، وهران، ط1، 2009، ص103- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائيّات السرديّة، ص49- عبد اللطيف محفوظ، البناء والدلالة في الرواية، مقاربة من منظور سيميائية السرد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2010، ط1، ص222...- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائيات السرديّة ص47... مختلفين في الترجمة بين (فاعل/ ذات)...